

الطلاب العرب الفلسطينيين من إسرائيل في الجامعات الأردنية: بين الطموح والتحدي

د. قصي حاج يحيى ود. خالد عرار
محاضران في الكلية الأكاديمية «بيت بيرل»

مقدمة

تبحث هذه الدراسة في مجمل العوامل التي تدفع طلاب وطالبات المدارس الثانوية العربية عامة للدراسة في المملكة الأردنية الهاشمية. كذلك تحاول أن تقف على الأسباب من وراء هذه الظاهرة إلى جانب فحص مبرراتها وإسقاطاتها على مبنى ومتنولية التعليم العالي لدى الأقلية العربية في إسرائيل. تشير الأبحاث إلى أن العراقيين البنيوية الموجودة في جهاز التعليم العالي في إسرائيل تدفع الطلاب العرب خريجي المدارس العربية الثانوية بصورة عامة إلى البحث عن أهداف وفرص تعليمية عليا في خارج البلاد (حاج يحيى، 2002؛ حاج يحيى وعرار، 2007). وتبرز في الآونة الأخيرة ظاهرة سفر أعداد كبيرة من الطالبات العربيات إلى خارج البلاد من أجل مواصلة التعليم العالي. تعتبر هذه الظاهرة جديدة، عندما يدور الحديث عن وضع التعليم العالي لدى الأقلية العربية في إسرائيل. في هذه المقالة سنعرض النتائج الميدانية للبحث الذي أجريناه مع الطلاب العرب الفلسطينيين الذين يدرسون في الجامعات الأردنية.

تظهر نتائج البحث بصورة واضحة أن الزيادة في متنولية التعليم العالي لدى الطلاب العرب في الجامعات الأردنية تستند إلى عوامل طرد وعوامل جذب إلى هذا الهدف، وهي تمثل خصوصية فريدة من نوعها عند الحديث عن التعليم العالي في دولة عربية مجاورة، وأن السياسة الممنهجة لعدم قبول الطلاب العرب في الجامعات الإسرائيلية للمواضيع ذات الهبة الاقتصادية

والاجتماعية هي أحد العوامل التي تجعل الدراسة في الجامعات الأردنية ملاذاً أو خياراً أخيراً أمامهم.

تمهيد

من المعروف أنه مع انهيار المنظومة الاشتراكية في دول شرق أوروبا وتجميد المنح الجامعية توقف سفر الطلاب العرب الفلسطينيين من إسرائيل للتعليم العالي في هذه الدول. بالمقابل توجه قسم كبير من الطلاب العرب للدراسة الجامعية في دول غرب أوروبا، خصوصاً في جمهورية ألمانيا الغربية سابقاً. بالإضافة إلى ألمانيا بدأ قسم قليل من الطلاب العرب بالسفر إلى دول أخرى في غرب أوروبا من أجل التحصيل الجامعي في مؤسساتها الجامعية، خصوصاً رومانيا (حاج يحيى ويعقوبي، 2007).

إلا أن التغيير الهائل في وجهة الطلاب العرب من إسرائيل للتعليم خارج البلاد قد حدث في أواخر التسعينات وبداية القرن الحالي، في أعقاب معاهدة السلام بين إسرائيل والمملكة الأردنية الهاشمية عام 1994 ونشوء ظاهرة سفر الطلاب العرب إلى الأردن من أجل الدراسة الجامعية في جامعاتها ومؤسساتها الأكاديمية المتنوعة (حاج يحيى وعرار، 2007؛ عرار وحاج يحيى، 2007). لقد أصبحت المملكة الأردنية الهاشمية المكان المفضل لدى الطلاب والطالبات العرب من إسرائيل لمواصلة تعليمهم الجامعي في جامعاتها ومؤسساتها العليا منذ مطلع هذا القرن. وكانت هذه بالنسبة لقسم كبير من الطلاب العرب الثانويين في إسرائيل

140	العلاج الطبيعي
31	العلاج الوظيفي
83	السمع والنطق
3	هندسة الحاسوب
1	علوم الحاسوب ونظم المعلومات
1	علوم الحاسوب
2	نظم المعلومات الحاسوبية
932	المجموع

(المصدر: جامعة العلوم والتكنولوجيا الأردنية، قسم الإحصائيات، 2007/9/4)

كما أصبحت الجامعات الأردنية هدفاً لطلاب وطالبات عرب من إسرائيل يرغبون بمواصلة دراستهم العليا لنيل شهادات الماجستير والدكتوراه، خصوصاً في مواضيع الدين والشريعة الإسلامية واللغة والأدب العربي.

ويلاحظ أن الطالبات العربيات بدأت تفضيل التعليم في الجامعات الأردنية (31% من الطلاب في الاردن طالبات). علماً بأن عدداً ضئيلاً منهن سافر للتعليم خارج البلاد، خصوصاً في أوروبا، ويعود ذلك إلى أسباب اجتماعية وتقليدية ودينية. لذلك فضلت الطالبات العربيات التعليم في الجامعات الإسرائيلية، خصوصاً في جامعة حيفا القريبة من القرى والمدن العربية في الجليل وفي كليات تأهيل المعلمين العربية. واستمر هذا الوضع إلى حين فتح المجال للطالبات العربيات للدراسة في الجامعات الأردنية العربية. أما في الجامعات الأردنية، فإن الطالبات العربيات يشعرون بأمن أكثر. إذ لا يواجهن فوارق في اللغة والعادات والتقاليد الاجتماعية والحضارية، وصعوبات في التأقلم الجامعي كما تواجه الطالبات العربيات الملتحقات بالجامعات الإسرائيلية. إن تحديد الجيل للقبول في الجامعات الإسرائيلية للمواضيع الطبية، مثل مواضيع الصيدلة والعلاج بالنطق، يعتبر عقبة أمام الطالبات العربيات؛ فالطالبات العربيات خريجات المدارس الثانوية اللاتي ينوين دراسة الطب أو مواضيع الطب المساند لا يستطعن الانتظار سنتين أو أكثر من أجل البدء في الدراسة الجامعية في البلاد، خصوصاً أن ظاهرة الزواج المبكر في المجتمع العربي والانتظار الطويل للقبول في الجامعة أو رفضه تقلص من إمكانية الفتاة العربية من اكتساب التعليم العالي ومواصلة (كناعنة، 2005)؛ فلا تتوافر لدى الطالبات العربيات الثانويات بدائل للعمل خارج القرى العربية، كما هي متوافرة لطلاب العرب؛ بل ينتظرن فرصة القبول للجامعة الإسرائيلية وهن على الأغلب موجودات في البيوت. على هذا الأساس تفضل الطالبات العربيات السفر إلى الأردن على البقاء في البيوت في انتظار القبول المنشود أو الرفض من الجامعة الإسرائيلية (عرار وحاج يحيى، 2007). لقد تحولت المملكة الأردنية الهاشمية إلى الهدف المنشود والمفضل للطالبات العربيات اللاتي يطمحن بدراسة المواضيع التعليمية المعروفة

فرصة سانحة للدراسة هناك، خصوصاً أنهم بدأوا يدرسون في دولة عربية مجاورة لهم وباللغة العربية وفي أجواء ثقافية حضارية وقومية قريبة منهم، وتكون شهاداتهم المستقبلية معترف بها من قبل مجلس التعليم العالي في إسرائيل. لقد أصبح الأردن هدفاً لعدد كبير من الطلاب والطالبات العرب الثانويين الذين يطمحون بدراسة مواضيع حرة ذات مكانة اجتماعية واقتصادية عالية في مجتمعهم، مثل الطب والصيدلة ومختلف المواضيع الطبية المساعدة. في سنة 1998 بلغ عدد الطلاب العرب من إسرائيل في الأردن ذكوراً وإناثاً، أو كما يقال لهم «طلاب عرب 48»، ما بين 80 إلى 100 طالب. وقد وصل عددهم في السنة الدراسية 2004-2005 إلى 1,654 طالباً، منهم 498 طالبة. في السنة الدراسية 2005-2006 وصل عددهم إلى 2,155 طالباً، منهم 670 طالبة (وزارة التعليم العالي والبحث العلمي الأردني، 2006). أما في سنة 2007 فقد ازداد عدد الطلاب والطالبات العرب في الجامعات الأردنية بشكل كبير؛ ففي السنة الدراسية 2007-2008 درس في جامعة العلوم والتكنولوجيا الأردنية لوحدها 932 طالباً وطالبة مقارنة مع 673 طالباً في العام الدراسي 2005-2006 (معطيات أخيرة من مكتب رئاسة جامعة التكنولوجيا والعلوم الأردنية، 2007). لا تتوفر لدينا معطيات دقيقة عن أعداد الطلاب والطالبات العرب الذين يدرسون في الجامعات الأردنية عامة، إلا أن معطيات جامعة التكنولوجيا والعلوم الأردنية تؤكد على الزيادة الكبيرة في عددهم وان عددهم الحالي يفوق 5,000 طالب وطالبة (حاج يحيى وعرار، 2007).

لائحة رقم 1 : توزيع الطلاب والطالبات العرب من إسرائيل في جامعة العلوم والتكنولوجيا الأردنية حسب التخصص لعام 2007

التخصص	المجموع
الطبّ والجراحة	281
العلوم الطبيّة المخبريّة	7
تكنولوجيا الأشعة	23
الهندسة المعماريّة	9
الهندسة المدنيّة	3
الهندسة الكهربائيّة	2
الهندسة الميكانيكيّة	1
الهندسة الطبيّة الحيويّة	2
الصيدلة	107
دكتور صيدلة	18
التمريض	26
طبّ وجراحة الأسنان	151
تكنولوجيا صناعة الأسنان	7
التغذية وتكنولوجيا الغذاء	10
الطبّ البيطري	8
التقانات الحيويّة والهندسة	6
البصريّات	10

نتائج البحث

لائحة رقم 2: توزيع الطلاب العرب في الجامعات

الأردنية حسب موضوع الدراسة

النسبة المئوية	عدد المبحوثين	موضوع الدراسة
48.1%	214	الصيدلة
18.0%	80	العلاج بالنطق
9.6%	43	مواضيع طبية مساندة (العلاج الطبيعي إلخ)
6.7%	30	التمريض
5.6%	25	الطب العام
4.7%	21	الطب لأسنان
2.7%	12	الأشعة والبصريات والعلوم المخبرية
4.5%	20	مواضيع أخرى

لائحة رقم 2 تظهر بوضوح بان الطلاب العرب يدرسون الطب والصيدلة والمواضيع الطبية المساندة كأفضلية أولى في الجامعات الأردنية، وأيضاً في الجامعات الأخرى خارج البلاد مثل ألمانيا ورومانيا وإيطاليا (حاج يحيى، 2002). وليس خفياً أن القبول لهذه المواضيع في الجامعات الإسرائيلية يحتاج إلى معدلات عالية في البسيخومتري والبجروت إضافة لشروط أخرى مثل محدودية الجيل واجتياز المقابلة الشخصية. وما من شك في أن الطلاب العرب يأخذون بالحسبان الحاجات الملحة للسوق الإسرائيلية ومتغيرات العرض والطلب فيها. فقد شملت عينة البحث 214 طالباً يدرسون الصيدلة، وهذا استناداً إلى طلب السوق الإسرائيلي من جهة، ولكن أيضاً إلى سهولة القبول لهذا الموضوع في الجامعات الأردنية وهيئته الاجتماعية في ما يعرف بالمجتمعات الأقلية.

لائحة رقم 3: توزيع الطلاب العرب في الجامعات

الأردنية حسب الجيل والتمويل الدراسي

التمويل المادي أثناء الدراسة (N= 460)		
88.5%	407	العائلة
7.5%	39	عمل ذاتي
12.2%	56	منحة دراسية
جيل الطلاب أثناء الدراسة (المعدل 21.5 سنة). انحراف معياري 2.1		
33.7%	153	20-18
35.5%	161	22-21
26.6%	121	24-23
4.2%	19	25+

لائحة رقم 3 تظهر أن الممول الأساسي لدراسة الطلاب في خارج البلاد هي العائلة. 88,5% من المبحوثين أجابوا بأن عائلاتهم هي الممولة الأساسية لدراساتهم في الخارج. بينما صرح 12,2% من المبحوثين بأنهم يمولون دراساتهم في الأردن بواسطة منحة

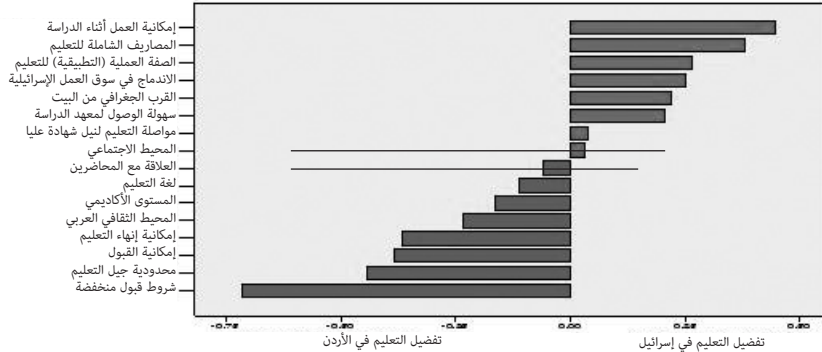
«الحرّة»، مثل الطب والصيدلة ومواضيع الطب المساند. الخروج إلى هذا الحيز التعليمي الجديد والبدل للحيز الضيق في البلاد يمثل تغييراً هائلاً باتجاه التعليم والعمل المستقبلي للطالبات العربيات، إذ غالباً ما انحصر تواجدهن في الماضي في كليات اجتماعية ولسانية، وتحدت أعمالهن في مجال التربية والتعليم وسوق الخدمات العامة. إن توجه الطالبات العربيات لمواصلة التعليم العالي في الأردن بهذه الأعداد الكبيرة يمكنه أن يدل على هذه القناة الجديدة للتعليم خارج البلاد للطالبة العربية من إسرائيل التي قد تجيب على طموحاتها الطبيعية، وأن الطالبة العربية تشعر بأن هذه القناة الجديدة تشكل جواباً واضحاً لتوقعاتها في دراسة مواضيع حرّة ذات هبة اجتماعية، كانت حتى الآن محدودة ومقتصرة فقط على الطلاب الذكور. إن العوائق والصعوبات في قبول الطلاب العرب في الجامعات الإسرائيلية (مثل المعدلات «الخيالية» المطلوبة منهم في امتحان البسيخومتري للقبول لمواضيع هامة، وتحديد جيل القبول للمواضيع الطبية، ومقالات القبول الفردية) تعتبر العوامل الرئيسية «الدافعة» للطلاب لحزم حقائبهم للسفر إلى خارج البلاد. وبذلك فقد تحولت المملكة الأردنية الهاشمية إلى الهدف المنشود والمفضل للطلاب العرب الذين يطمحون إلى دراسة المواضيع التعليمية «الحرّة»، مثل الطب والصيدلة ومواضيع الطب المساند. الخروج إلى هذا الحيز التعليمي الجديد الذي يشكل بديلاً للحيز الضيق في البلاد يمثل تغييراً هائلاً في قضية التعليم العالي والعمل المستقبلي للطلاب العرب، وهو أيضاً بدأ بمواكبة ظاهرتي «تسليح التعليم العالي وعولمته» والتي تنظر إلى التعليم العالي من منظار اقتصادي بحث. بيد أننا كباحثين نوكد على اتجاه جديد في التعليم العالي لدى الأقلية العربية الفلسطينية في إسرائيل والذي سنطلق عليه اصطلاح «الأردنة».

مجريات البحث

تم إجراء البحث خلال العام الدراسي 2007-2008 في الجامعات الأردنية. وقد اشتملت عينة البحث على 460 طالباً، 335 ذكراً و119 أنثى، من خمس جامعات أردنية مختلفة. تم توزيع استمارة على الطلاب تعنى بأسئلة البحث حول دافعية الطلاب العرب للدراسة في الأردن ومدى تقييمهم لمستوى التعليم في الجامعات الأردنية والصعوبات التي يواجهونها أثناء الدراسة. لقد قام الباحثان بتوزيع الاستمارة بين الطلاب متنقلين من حرم إلى آخر ومزودين بتأشيرة من وزير التعليم العالي والبحث العلمي في الأردن للسماح لهما بإجراء هذا البحث الميداني. بالإضافة إلى الاستمارة سحت للباحثين مقابلة عدد لا بأس به من الطلاب بشكل مباشر والتحدث معهم حول تعليمهم وتكيفهم وتعاطيهم مع هذا الحيز الجديد.



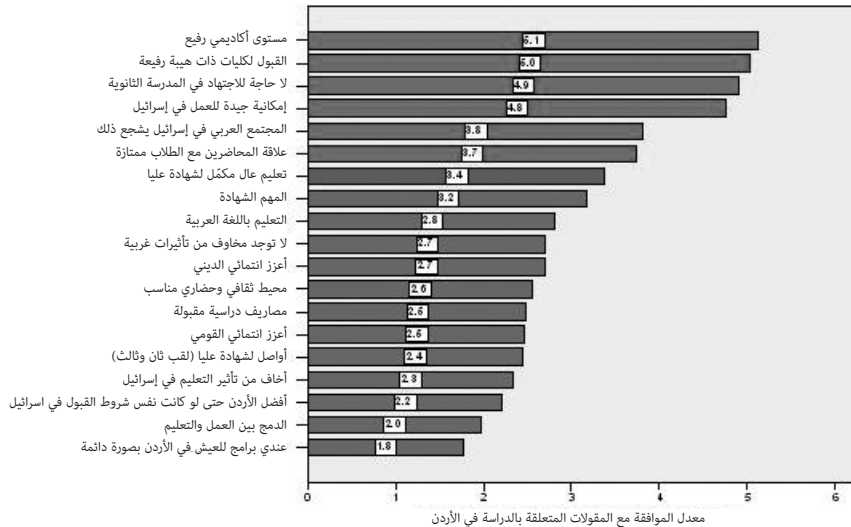
رسم بياني رقم 5: دوافع سفر الطلاب العرب إلى الأردن مقابل الدوافع المفضلة للدراسة في إسرائيل (N=460)



من الرسم البياني أعلاه يتضح لنا أن من بين العوامل الرئيسية التي تدفع الطلاب إلى الدراسة في الأردن حسب الأفضلية: (1) شروط قبول سهلة نسبياً؛ (2) عدم تحديد لجبل القبول؛ (3) إمكانية القبول متاحة؛ (4) بيئة ثقافية ولغة عربية مشابهة، وقرب جغرافي.

رسم بياني رقم 6 : مواقف الطلاب العرب من الدراسة في الأردن (N=460)

تظهر النتائج في الرسم البياني أعلاه أن الطلاب يعتقدون بأن المستوى الأكاديمي في الجامعات الأردنية عال جداً، كذلك يؤكد الطلاب على إمكانية القبول المبكر للمواضيع المستقلة ذات



دراسية قد حصلوا عليها قبل سفرهم للدراسة في الأردن عن طريق الأحزاب العربية والمكرمات الملكية. في حين صرح 7,5% من المبحوثين أنهم يمولون دراستهم في الأردن عن

طريق العمل الذاتي في العطل الصيفية في البلاد، إذ يُمنع الطلاب الأجانب عامة من العمل في الأردن. وإضافة إلى ذلك يظهر جلياً أن أعمار معظم المبحوثين تتراوح من 18 عاماً حتى 24 أثناء الدراسة وإن معدل جيل الطلاب العام هو 21,5، أي أننا بصدد مجتمع طلابي «شاب».

لائحة رقم 4: معدل تحصيل الطلاب العرب الذين يدرسون في الأردن في امتحانات البجروت والبيسخومتري قبيل سفرهم

الامتحان	المعدل العام بين الطلاب (N=460)
معدل بسخومتري	533.86
معدل البجروت	95.41
معدل علامة البجروت في الانجليزية	81.67

تظهر لائحة 4 بان المعدل العام في البسخومتري بين الطلاب المبحوثين هو 533,86. يستدل من هذه النتيجة بأن اغلب الطلاب العرب قد امتحنوا في امتحان البسخومتري قبل سفرهم إلى الأردن وأنهم قد خططوا وأرادوا تكملة دراستهم العليا في الجامعات الإسرائيلية. إلا أن المعدل العام هذا لا يسمح لهم بتعلم مواضيع الصيدلة والطب والطب المساند في الجامعات الإسرائيلية.

كذلك هو الحال بالنسبة للمعدل العام في البجروت. إذ حصل الطلاب العرب المبحوثين على معدل 95,41 وهو معدل جيد جداً، إلا أنه غير كاف لتخطي عقبة القبول للمواضيع الطبية في الجامعات الإسرائيلية. وبما أن لغة الدراسة والتعليم في الجامعات الأردنية في المواضيع الطبية هي اللغة الانجليزية، فقد صرح المبحوثون بأن معدل علامتهم في البجروت في اللغة الانجليزية يصل إلى 81,67، وهي علامة عالية نسبياً ويفترض أن تؤهل الطالب العربي من إسرائيل للدراسة في الجامعات الأردنية.

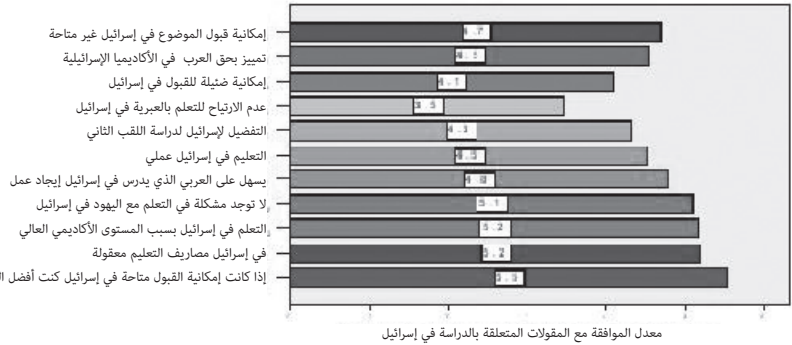
الأسنان والصيدلة ومواضيع متنوعة في الطب المساند كالمعالجة بالنطق والمعالجة بالاتصال، وهو ما لم يتم القبول لها في الجامعات الإسرائيلية، حيث ما زالت غالبية الطلاب تدرس في الجامعات الإسرائيلية مواضيع العلوم الاجتماعية والإنسانية على الأغلب (مصطفى، 2006)، هذا إلى جانب قسم قليل منهم من يدرس للقبين الثاني والثالث في اللغة العربية والشريعة والدين الإسلامي في الجامعات الأردنية. تظهر نتائج البحث أيضاً أن عوامل الطرد العديدة من البلاد، مثل علامات القبول والجيل الأدنى والامتحان البسيخومتري، تدفع الطلاب والطالبات على حد سواء لمغادرة البلاد، وذلك لعدم الاستعداد للانتظار وبالذات لدى الفتاة العربية التي غالباً ما تحرم من هذه الفرصة مقابل عروض الزواج (حاج يحيى ويعقوبي، 2007). رغم وجود المعوقات الاقتصادية وقسط التعليم والمصاريف المعيشية الباهظة،

خاصة لطلاب الطب والصيدلة - إذ يدفع طالب الطب 170 ديناراً لقاء كل ساعة تعليم أكاديمية، بمعدل 40 ساعة، إلى جانب 1,500 شاقلة تكلفة المعيشة شهرياً. وتصل تكلفة طالب الطب في الأردن ما يقارب 70,000 شاقلة سنوياً، وتكلفة طالب الصيدلة ما يقارب 50,000 شاقلة سنوياً (المصدر السابق) - رغم هذه الحواجز، يحاول الأهل تذليلها لتحقيق حلم الأسرة العربية في تعليم أبنائها وبناتها ليصبحوا أطباء وطبيبات وصيدلة وصيدليات. أما العوامل التي تجذب وتساهم في توجه الطلاب والطالبات المتزايد إلى الأردن، فهي شروط القبول السهلة نسبياً وانعدام امتحانات القبول، والقرب الجغرافي والثقافي واللغة العربية المشتركة.

لقد وصف الباحث مهند مصطفى (2006) السلوك الأقليمي الذي يميز الأقليات في توجهها نحو التعليم العالي والأكدمية، والذي يختلف من حيث الهدف والسلوك مع ما تتميز به ثقافة المسيطر، إلا أن ظاهرة تعليم العرب من إسرائيل لم تتناول من قبل بالدراسة والتمحيص، حيث أن التمكن من التعليم العالي خارج البلاد له علاقة بدافعية الهجرة الدائمة منها أو الزمنية والتوقعات ذات الصلة، ومن أنواع هذه الهجرة الداخلية منها، أو الخارجية الدائمة أو الدائرية المغلقة. فظاهرة التعلم في الأردن تتميز بالهجرة الدائرية المغلقة والمؤقتة التي تكون فقط لغرض الدراسة والعودة والانخراط في المجتمع الأساس (عرار وحاج يحيى، 2007)؛ ومن العوامل التي تجذب الطلاب والطالبات إلى

الهيئة الاجتماعية في الجامعات الأردنية دون الحاجة للانتظار. كما تبين اللائحة بأن غالبية الطلاب تؤمن بقدرتها على الاندماج في سوق العمل المحلي والإسرائيلي عشية تخرجهم.

رسم بياني رقم 7: تصريحات عامة بشأن تقييم الطلاب وتوصياتهم بشأن الدراسة في إسرائيل والأردن (N=460)



تظهر النتائج في الرسم البياني أعلاه أن الدراسة في الأردن تعتبر خياراً تانياً بالنسبة للطلاب العربي، وأنه لو تم قبولهم في الجامعات الإسرائيلية لما سافروا إلى الأردن. كما صرح الطلاب أن تكاليف التعليم العالي في الأردن باهظة مقارنة بإسرائيل، وأوضحوا بأن المستوى الأكاديمي في الجامعات الإسرائيلية عال وبأن خريجي الجامعات الإسرائيلية ينخرطون في سوق العمل بسهولة أكثر. في حين أعرب الطلاب أن إمكانية القبول في الجامعات الإسرائيلية للمواضيع التي يدرسونها في الأردن صعبة للغاية وأن الجامعات الإسرائيلية تمارس تمييزاً واضحاً في قبول الطلاب العرب فيها.

خلاصة

نتائج هذا البحث تبرز بوضوح بأن التعليم العالي لدى الأقلية العربية في إسرائيل بدأ يأخذ منحى جديداً في توجهاته. فظاهرة الدراسة في الجامعات الأردنية للطلاب العرب الفلسطينيين من إسرائيل تعتبر ظاهرة جديدة نسبياً، وأن التزايد في عدد الطلاب والطالبات المتوجهين لطلب التعليم العالي في المملكة الأردنية الهاشمية في ازدياد كبير، وأن ثمة زيادة كبيرة في عدد الطالبات اللواتي يدرسن في الأردن، حيث أصبحن يشكلن 31% من مجمل الطلاب العرب في الأردن. كما نستنتج من البحث أن أكثر من 50% من الطلاب يدرسون موضوع الطب وطب وجراحة

الهجرة لغرض التعليم عوامل جذب، مثل تحسين الدخل الاقتصادي والوضع الاجتماعي أو الاقتصادي للخريج (Clifford, 1970)، والزيادة في التمكين الاقتصادي عند العودة. ومن الهجرة المؤقتة ما يعد تمريناً أو تدريباً أولياً على هجرة مستقبلية وثابتة نحو هدف أكثر جذباً من الناحية الاقتصادية والاجتماعية (Siddle, 2000).

أما فيما يتعلق بالقيم الثقافية التي يكتسبها الطلاب والطالبات العربيات في الأردن، نجد استمراراً لبحث مهند مصطفى (2006) أن سلوك الطلاب والطالبات العرب في الجامعات الأردنية يتميز بما سمي بسلوك تعليم أقلباتي، حيث يتميز سلوك الطلاب بنوع من عدم الاندماج في المجتمع الأردني، والمشاركة في أمسيات تخصهم، مثل "وجبة الإفطار" في شهر رمضان التي تنظمها الأحزاب المانحة، ورغم الاندفاع المتزايد لدى أبناء الأقلية نحو التعليم العالي كأحد وسائل الكفاح لسياسة السيطرة التي تمارسها الأغلبية. إلا أننا لمسنا من خلال المقابلات أن سلوكيات الطلاب والطالبات في الأردن تتميز بنوع من التوقع، وعدم الانخراط التام في الحياة الثقافية أو السياسية أو الاجتماعية الأردنية. هذا باستثناء بعض الحالات التي حدث فيها نوع من علاقات المصاهرة كنتيجة حاصلة للانخراط في المجتمع الأردني.

بالإضافة إلى ذلك تبين الدراسة أن المستفيد الكبير من ظاهرة الدراسة في الجامعات الأردنية هن الطالبات العربيات، حيث بلغت نسبتهن 31% من مجمل الطلاب العرب من إسرائيل الذين يدرسون في الأردن؛ وهي النسبة التي لم نشهدها في إقبالهن نحو التعليم في الجامعات الأوروبية، وهو ما يعود لأسباب اجتماعية وحضارية ودينية تسهم في جذب الفتاة العربية للدراسة في الجامعات الأردنية، خاصة وأن الفتيات ينتسبن في تعليمهن في الأردن لمواضيع ذات هبة اجتماعية وتعتبر عن ميولهن الطبيعي، وهو ما يختلف مع سلوك الطالبات العربيات التعليمي في الجامعات الإسرائيلية اللواتي ينتسبن بنسب عالية للعلوم الإنسانية والاجتماعية بعكس سلوكهن التعليمي في الجامعات الأردنية، وهو ما من شأنه أن يشكل تغيراً مستقبلياً نوعياً في عمل المرأة العربية أيضاً، حيث تعمل غالبية النساء العربيات في السوق الإسرائيلية حالياً في سلك الخدمات المساندة (عرار وأبو عصبه، 2007)، في حين قد يشكّل انتسابهن المتزايد لمواضيع الطب والصيدلة أداة لتغيير عملهن المستقبلي ومن ثم سلوكهن ومكانتهن الاجتماعية نحو تلاقي النوع الاجتماعي (gender convergence)، وهو ما قد يزيد بدوره من تنافسهن في سوق العمل مع الرجال العرب أولاً ولربما في سوق العمل الإسرائيلية عامة.

عندما يدرك الطلاب والطالبات العرب في المدارس الثانوية

"السهولة النسبية" للقبول في الجامعات الأردنية بالمقارنة مع شروط القبول في الجامعات الإسرائيلية، خصوصاً للمواضيع المستقلة ذات الهبة الاجتماعية والاقتصادية وليس للمواضيع ذات الصلة بالمؤسسات الحكومية (جهاز التربية والتعليم مثلاً)، حيث نرى نقداً لأساليب استيعاب مثل هذه الوظائف وعدم توفر أماكن العمل (الحاج، 2006؛ أبو عصبه، 2007). فإن الطلاب والطالبات لا يفكرون كثيراً ويقتنعون بقبول الدراسة في الأردن. هذه القناعة عند الطلاب والطالبات العرب نابعة بالأساس من أن الأردن هي دولة عربية وغير بعيدة جغرافياً عن القرى العربية في البلاد، كذلك اللغة والتمن العربي للدراسة وسهولة القبول وعدم تحديد الجيل للبدء بالدراسة الأكاديمية للمواضيع المستقلة. وهذه القناعة يمكنها أن تحقق أحلامهم وتوجههم نحو البديل "الطبيعي" للدراسة الجامعية بدون عوائق في شروط القبول وشروط الجيل من أجل ترجمة حقهم الأساسي بمواصلة التعليم العالي. إذ تظهر نتائج البحث بوضوح تام بأن التعليم في الجامعات الأردنية يعتبر بالنسبة للطلاب العرب في إسرائيل خياراً ثانياً بعد خيار الدراسة في الجامعات الإسرائيلية. كما أن الزيادة في أعداد الطلاب العرب في الجامعات الأردنية في مواضيع الصيدلة ومواضيع الطب المساند قد يؤدي إلى حدوث "تسونامي" بطالة بين خريجي هذه الجامعات في المستقبل، إذا لم تتم عملية توجيه رشيدة لهؤلاء الطلاب تستند إلى سياسة ابتعاث كما هو الحال في دول العالم الغربي.

يلاحظ أيضاً أن هذه الظاهرة الجديدة نسبياً على التعليم العالي في المجتمع العربي في إسرائيل لم تؤثر سلباً على عدد الطلاب العرب في الجامعات الإسرائيلية. فعلى الرغم من هذا التدفق الكبير، فنحن بصدد ظاهرة يمكنها أن تدلل على أهمية التعليم العالي في الحراك الاجتماعي والاقتصادي للأقلية العربية في إسرائيل رغم الإسقاطات السلبية المحتملة على جهاز التربية والتعليم العربي في البلاد، بخصوص عدم الاكتراث لنتائج البجروت وعدم الاهتمام بامتحانات البسيخومتري.

وللتلخيص فإن التوجه إلى التعليم العالي لتكملة الدراسة في الأردن أو في دول أجنبية أخرى هو توجه قسري، أي أنه يأتي كخيار ثان للطلاب والطالبات العرب في إسرائيل بسبب العراقيل المختلفة التي تواجههم كالسيخومتري وامتحانات القبول، والافتقار إلى تنظيم وضبط سياسة الابتعاث حسب احتياجات المجتمع وإمكانات سوق العمل في البلاد، وطغيان تسليح التعليم العالي وعولمته.

ثبت المراجع

من أهم توصيات البحث:

1. إقامة مكتب توجيه وترشيد (ذي طابع تربوي) تحت غطاء لجنة متابعة قضايا التعليم العربي لمعاينة هذه الظاهرة استناداً للعرض والطلب في سوق العمل المحلي والاسرائيلي.
2. تعزيز التشبيك لهذه الظاهرة بين الأحزاب العربية التي تمنح منحة دراسية للطلاب العرب ولجنة متابعة قضايا التعليم، وذلك استناداً الى معايير تحصيلية ومعايير اقتصادية وذلك تماشياً مع احتياجات المجتمع العربي الملحة والمستقبلية، تحسباً من حدوث «تسونامي» من حملة الشهادات العاطلين عن العمل.
3. تقنين مكاتب الارتباط بين المملكة الأردنية الهاشمية والمجتمع العربي في اسرائيل.
4. اعادة الضغط على متخذي القرار في اسرائيل من قبل ممثلي الجماهير العربية في الكنسيات الاسرائيلي والجمعيات العربية الفاعلة لسن قوانين للتفضيل المصحح في قبول الطلاب العرب في الجامعات الاسرائيلية، للمواضيع الطيبة بدون عوائق البسخومتري، وتحديد الجبل أسوة لما يتخذ بشأن الأقليات الأصلانية كما في كندا على سبيل المثال لا الحصر.
5. الاهتمام البارز في التعليم العالي والموارد البشري الأكاديمي لدى الأقلية الفلسطينية في اسرائيل وزيادة اعداد الطلاب الجامعيين في الجامعات الاسرائيلية وخارج البلاد، والزيادة المطردة في نسبة الطلاب غير المقبولين تحتم وبالحاح على متخذي القرار العمل والنضال من أجل إقامة جامعة عربية في البلاد!
1. أبو عصبه، خالد (2007). جهاز التعليم العربي في إسرائيل: معضلات لأقلية قومية. القدس: معهد فلورسهايمر للأبحاث والسياسة (عبري).
2. جامعة العلوم والتكنولوجيا الأردنية، قسم الإحصائيات، 2007/9/4.
3. الحاج، ماجد (2006). تعليم الفلسطينيين في إسرائيل بين الضبط وثقافة الصمت . بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
4. حاج يحيى، قصي (2002). الحلم والواقع: بحث عن الأكاديميين العرب من إسرائيل خريجي الجامعات الألمانية. تل أبيب: راموت (عبري).
5. حاج يحيى، قصي ويعقوبي، غانم (2007). متناولية التعليم العالي لدى الطلاب العرب في خارج البلاد-الأسباب، المصاعب، والإمكانيات المستقبلية. القدس: معهد فان لير (ماثل للنشر) (عبري).
6. حاج يحيى، قصي وعرار، خالد (2007). الطلاب العرب الفلسطينيين من إسرائيل في الجامعات الأردنية: ملاذ، توجهات وتحديات. جمعية ابن خلدون (طمرة)، سلسلة ابن خلدون، رقم 4.
7. مجلس التعليم العالي والبحث العلمي الأردني، 2007، 2006. في موقع: <http://www.mohe.gov.jo/STATISTICS/Default.asp>
8. كناعنة، يوسف (2005). التواصل والتجديد في القرية العربية في إسرائيل: بين ثقافة الحمولة وبين الثقافة الأكاديمية. تل أبيب: بحث لنيل شهادة ماجستير في قسم التربية في جامعة تل أبيب (عبري).
9. مصطفى، مهند (2006). التعليم العالي لدى الفلسطينيين في إسرائيل. أم الفحم: جمعية اقرأ.
10. عرار، خالد وحاج يحيى، قصي (2007). الطلاب العرب من إسرائيل في الجامعات الأردنية: قضايا ومعضلات: في كتاب: خالد عرار وقصي حاج يحيى، الأكاديميون والتعليم العالي بين العرب في إسرائيل: قضايا ومعضلات. تل أبيب: راموت (عبري).
11. عرار، خالد وأبو عصبه، خالد (2007). التعليم والعمل كفرصة لتغيير مكانة النساء العربيات في اسرائيل. في كتاب: خالد عرار وقصي حاج يحيى، الأكاديميون والتعليم العالي بين العرب في إسرائيل: قضايا ومعضلات. تل أبيب: راموت (عبري).
12. Clifford, Jansen (1970), Reading in the Sociology of Immigration. London: Pergamon.
13. Siddle, David (eds.) (2000). Migration, Mobility and Modernization. Liverpool: Liverpool University Press.